الملك الزاهد :عمر بن عبد العزيز

جمعه

عبد الشهيد الأزهري

azharyonline.com

May 2012

فهرست

ولادته.......... 2

طلب العلم: 2

أميرا وخليفة للمسلمين 3

نبذة عن سياساته.......... 3

القدوة المثلى في الورع والزهد (ستة أمثلة).......... 4

الحالة الاقتصادية في حكمه 5

ثناء العلماء عليه: 6

خطبه 6

وفاته.......... 7

الملك الزاهد : عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

عمر بن عبد العزيز من الشخصيات الفذة التي أنجبتها تاريخ الإسلام ، وخلافته لم تتجاوز سنتين وبضعة أشهر ولكنها احتلت مكانة مرموقة في تاريخ الإسلام ، وسيرته خير رفيق لمن يبحث عن رجل نشأ في قمة الرفاهة ولكنه ترك كل العلائق بلذات الدنيا وتوجه بالتضرع إلى الله وهو ملك يدير سياسة البلاد وأمور العباد.

ولادته :

اختلف المؤرخون في سنة مولده والراجح أنه ولد عام 61هـ، وهو قول أكثر المؤرخين بالمدينة ، ونسبته تصل إلى عبد مناف فهو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ووالده كان من خيار أمراء بني أمية وخدم مصر أكثر من عشرين سنة أميرا لها ، وأمه حفيدة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وهي الفتاة التي سمعها عمر رضي الله عنه تحدث عن منع مذق اللبن بالماء حينما كان يعس في الليلة كما جاء في القصة المشهورة عن سيدنا عمر رضي الله عنه. وربما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشير إلى عمر بن عبد العزيز حينما قال لابنه عاصم : " فما أحراها أن تأتي بفارس يسود العرب؟ وكان عمر يقول: "ليت شعري من ذو الشين من ولدي الذي يملؤها عدلا كما ملئت جورا"

طلب العلم:

كان لديه شدة حب الإقبال على طلب العلم ، فكان يطالع ويذاكر بين العلماء ، ويلازم مجالس العلماء، والصحابي الجليل عبد الله بن عمر كان خالا له فكان يأتي إليه وتأثر كثيرا بتربيته ، وتعلم ونشأ عنده حينما سافر أمه إلى مصر لتلحق بزوجها الوالي في مصر. ويروى عنه أنه كان شديد الخوف والورع حتى في صغر سنه وكان يبكي لذكر الموت بالرغم من حداثة سنه، فبلغ ذلك أمه فأرسلت إليه وقالت: ما يبكيك؟ قال: ذكرت الموت. فبكت أمه حين بلغها ذلك.

البيئة السائدة في المدينة كانت بيئة إسلامية خالصة ولم تدخل إليها تأويلات الفاسقين والمتبدعن ،فساد فيها التقوى والصلاح ، وكان صالح بن كيسان أهم أساتذة عمر بن عبد العزيز ، كما لازم عبيد

الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أحد فقهاء السبعة في المدينة ، فتعلم منه وتردد عليه حينما كان أمير المدينة وقد بلغ عدد شيوخ عمر بن عبد العزيز ثلاثة وثلاثين وثمانية منهم من الصحابة.

وقد اتفق قول أئمة المؤرخين أنه كان فقيها مجتهدا ورعا زاهدا قانتا لله ، وعده شاه ولي الله الدهلوي مجدد القرن الأول ، وقال عنه مجاهد: أتيناه نعلمه، فما برحنا حتى تعلمنا منه ، وقد احتج العلماء والفقهاء بقوله وفعله.

أميرا وخليفة للمسلمين

وبعد وفاة أبيه رحل إلى دمشق وتزوج من فاطمة بنت عبد الملك ، وبعد فترة توفي عبد الملك وأصبح عمر واليا للمدينة وازدهرت المدينة في عهده حتى بدأ الناس يهاجرون إليها من العراق حيث كانوا مضطهدين في العهد القاسي لحجاج بن يوسف ، وهذا أدى إلى غضب الحجاج وبالتالي دعى إلى عزله وضغط الخليفة الوليد على إنهاء خدمته ، فقبل طلبه وتم فصل عمر منه. ورفض عمر دعوة الوليد لخلع سليمان بن عبد الملك من ولاية العهد ، رغم اعتراف الكثير بها طوعا أو كرها ، وعاش في المدينة إلى أن ولاه سليمان بن عبد الملك خليفة له حيث كان أبناءه صغارا، وهكذا أصبح عمر بن عبد العزيز خليفة المسلمين.

وبعد تولي الخلافة اتجه عمر إلى بيته وآوى إلى فراشه، فما كاد يسلم جنبه إلى مضجعه حتى أقبل عليه ابنه عبد الملك وكان عمره آنذاك سبعة عشر عامًا، وقال: ماذا تريد أن تصنع يا أمير المؤمنين؟ فرد عمر: أي بني أريد أن أغفو قليلا، فلم تبق في جسدي طاقة. قال عبد الملك: أتغفو قبل أن ترد المظالم إلى أهلها يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: أي بني إني قد سهرت البارحة في عمك سليمان، وإني إذا حان الظهر صليت في الناس ورددت المظالم إلى أهلها إن شاء الله. فقال عبد الملك: ومن لك يا أمير المؤمنين بأن تعيش إلى الظهر؟! فقام عمر وقبّل ابنه وضمه إليه، ثم قال: الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يعينني على دين

نبذة عن سياساته

كان عمر بن عبد العزيز متمسكا بالكتاب والسنة وشدد على اتباع السنة وتوحيد كلمة المسلمين ، وساوى بين الجميع في الحقوق والواجبات ، ولم يتعامل مع أعداء بني أمية بالشدة والقهر، ولم يميز

بين أهل الشام وغيرهم في العطاء ، وألغى سب الخطباء في منابر الجمعة لسيدنا علي رضي الله عنه وجاء بدله بكلمة " إن الله يأمركم بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر...". ، وشجع العلم والعلماء وأحيى سنة النبي صلى ا لله عليه وسلم وأمات البدعة ، وأمر بجمع حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وقام محمد بن شهاب الزهري بتدوين الحديث بأمر من عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وذلك خوفا من ضياعه ، وكان حياته خشنة رغم وجود الرخاء والرفاهية في أسرته ولكنه لم يلزم ولاته على الخشونة ووافق على منح مكافآت عالية حتى يتفرغوا لشؤون البلاد ، وحرم الإدارة العليا عن الدخول في التجارة ، وخصص مشاريع خاصة للنهضة بالأيتام والمساكين ، وألغى الجزية على المسلمين الجدد الذين دخلوا في الإسلام ، ووزع الأموال الطائلة التي ورثها عن سابقه إلى الفقراء والمساكين والمصالح العامة.

القدوة المثلى في الورع والزهد (ستة أمثلة)

مثال واحد : أشتهى عمر تفاحاً، فقال لو كان لنا شيء من التفاح، فإنه طيب الريح طيب الطعم فقام رجل من أهل بيته فأهدى إليه تفاحاً، فلما جاء به قال عمر: ما أطيب ريحه وأحسنه، أرفعه يا غلام فاقرئ فلاناً منا السلام وقل لهُ: إن هديتك قد وقعت منا بموقع بحيث تحب. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، ابن عمك ورجل من أهل بيتك وقد بلغك أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، فقال : ويحك، إن الهدية كانت للنبي وهي لنا اليوم رشوة.

مثال ثان : وعن عطاء بن أبي رباح قال: حدثتني فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز: أنها دخلت عليه فإذا هو في مصلاه، سائلة دموعه، فقالت: يا أمير المؤمنين، ألشئ حدث؟ قال: يا فاطمة إني تقلدت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلّم فتفكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعاري المجهود، والمظلوم المقهور، والغريب المأسور، وذي العيال في اقطار الأرض، فعلمت أن ربي سيسألني عنهم، وأن خصمي دونهم محمد صلى الله عليه وسلم، فخشيت أن لا تثبت لي حجة عن خصومته، فرحمت نفسي فبكيت.

مثال ثالث :كان شديد المحاسبة لنفسه وَرِعًا تقيًا، كان يقسم تفاحًا أفاءه الله على المسلمين، فتناول ابن له صغير تفاحة، فأخذها من فمه، وأوجع فمه فبكى الطفل الصغير، وذهب لأمه فاطمة، فأرسلت من أشترى له تفاحًا. وعاد إلى البيت وما عاد معه بتفاحة واحدة، فقال لفاطمة: في البيت تفاح؟ إني

أَشُمُّ الرائحة، قالت: لا، وقصت عليه القصة –قصة ابنه– فَذَرفت عيناه الدموع وقال: والله لقد انتزعتها من فم ابني وكأنما أنتزعها من قلبي، لكني كرهت أن أضيع نفسي بتفاحة من فيْء المسلمين قبل أن يُقَسّم الفَيءُ.

مثال رابع : عن مسلمة بن عبد الملك قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز أعوده في مرضه فإذا عليه قميص وسخ, فقلت لفاطمة بنت عبد الملك –زوجة عمر–: يا فاطمة اغسلي قميص أمير المؤمنين. قالت: نفعل إن شاء الله. ثم عدت فإذا القميص على حاله, فقلت: يا فاطمة ألم آمركم أن تغسلوا قميص أمير المؤمنين؟! قالت: والله ما له قميص غيره".

مثال خامس: قال ولده عبد العزيز: سألني أبو جعفر المنصور: كم كانت غلة أبيك حين أفضت الخلافة إليه؟ قلت: أربعين ألف دينار، قال: فكم كانت حين توفي؟ قلت: أربعمائة دينار ولو بقي لنقصت"، وذلك لأنه لم يرتزق من بيت المسلمين شيئاً.

مثال سادس : وذكر الحافظ بن الجوزي من خبر أبي حازم قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز قال : انظروا رجلين من أفضل من تجدون ، فجيئ برجلين ، فكان إذا جلس مجلس الإمارة ألقى لهما وسادة قباله فقال لهما إنه مجلس شرة وفتنة فلا يكن لكما إلا النظر إلي ، فإذا رأيتما مني شيئا لا يوافق الحق فخوفاني وذكراني بالله عزوجل.

الحالة الاقتصادية في حكمه

جاءوه مرّة بالزكاة فقال أنفقوها على الفقراء والمساكين فقالوا ما عاد في أمة الإسلام فقراء ولا مساكين، قال فجهزوا بها الجيوش، قالوا جيش الإسلام يجوب الدنيا، قال فزوجوا بها الشباب, فقالوا من كان يريد الزواج زوج، وبقي مال فقال اقضوا الديون على المدينين، قضوه وبقي المال, فقال انظروا في أهل الكتاب(المسيحيين واليهود) من كان عليه دين فسددوا عنه ففعلوا وبقي المال، فقال أعطوا أهل العلم فأعطوهم وبقي مال، فقال اشتروا به حباً وانثروه على رؤوس الجبال, لتأكل الطير من خير المسلمين.

ثناء العلماء عليه:

وقال مالك بن دينار: "الناس يقولون: إني زاهد؛ إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز الذي أتته الدنيا فتركها"

وقد أثنى عليه الناس كلهم حتى خصوم بني أمية من الخوارج والشيعة، وأشادوا بخلاله الناصعة، وقيامه بأمر الخلافة على أفضل ما يكون، وأجمعوا على أنه من أئمة الهدى والعدل، وأحد الراشدين، واثنوا على علمه الغزير حتى قال أحمد بن حنبل: «لا أدري قول أحد من التابعين حجة إلا قول عمر بن عبد العزيز»، وقال ربيعة الرأي: «والذي نفسي بيده ما أخطأ عمر بن عبد العزيز قط في المسائل الفقهية»، وقال عنه مالك بن دينار: «يقولون مالك زاهد وأي زهد عندي! إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز أتته الدنيا فاغرة فاها فتركها».

خطبه

« أيها الناس ، أصلحوا آخرتكم يصلحِ اللّهُ دنياكم ، وأصلحوا أسراركم يصلحِ اللّهُ علانيتكم » .

وقال في بعض خطبه :

« كم من عامرٍ موثق عما قليل يخرب ، وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن ، فأحسنوا رحمكم الله الرحلة بأحسن ما يحضر بكم من النقلة ، بينما ابن آدم في الدنيا ينافس قرير العين فيها يانع ، إذْ دعاه اللّه بقدره ، ورماه بسهم حتفه ، فسلبه أثارةَ دنياه ، وصيَّر إلى قوم آخرين مصانعه ومغناه ، إنَّ الدنيا لا تسر بقدر ما تضر ، تسر قليلاً وتُحزن طويلا » .

ولما استخلف عمر بن عبد العزيز قام في الناس فحمد اللّه وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس ، إنه لا كتاب بعد القرآن ، ولا نبي بعد محمد عليه السلام ، وإني لست بقاضٍ ولكني منفّذ ، وإني لست بمبتدع ولكني متبع ، إنَّ الرجل الهارب من الإمام الظالم ليس بظالم إلا أن الإمام الظالم هو العاصي ، ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق عزَّ وجلَّ » .

وفي رواية أنه قال فيها :

« وإني لست بخير من أحد منكم ، ولكني أثقلكم حملا » .

كان آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد ، فإنكم لم تُخلقوا عبثاً ، ولم تُتركوا سدى ، وإن لكم معاداً ينـزل الله فيه للحكم فيكم والفصل بينكم ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله تعالى ، وحُرِمَ جنة عرضها السموات والأرض ، ألم تعلموا انه لا يأمن غداً إلا من حذر اليوم الآخر وخافه ، وباع فانياً بباقٍ ، ونافداً بما لا نفاد له ، وقليلاً بكثير ، وخوفاً بأمان ، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين ، وسيكون من بعدِكم للباقين ، كذلك حتى تُرد إلى خير الوارثين ، ثم إنكم في كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله لا يرجع ، قد قضى نحبه ، حتى تغيِّبوه في صدع من الأرض ، في بطن صدع غير موسد ولا ممهد ، قد فارق الأحباب ، وواجه التراب والحساب ، فهو مرتهن بعمله ، غنيٌ عما ترك ، فقير لما قدَّم ، فاتقوا الله قبل القضاء ، وراقبوه قبل نزول الموت بكم . أما إني أقول هذا » ثم وضع طرف رداءه على وجهه فبكى وأبكى من حوله .

وفاته:

وقد اختلف المؤرخون في سبب وفاته، فقيل إنه أصيب بالسل، وقيل إنه قد وضع له السم في طعامه نظير ألف دينار لأحد خدامه، وأن عمر قد عرف ذلك وعفا عنه وسامحه، وقد مات رحمه الله بقرية دير سمعان من أعمال حمص بالشام في 25 رجب سنة 101هـ، وكان آخر قوله في الدنيا قوله عز وجل: {تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}[القصص: 83].

استعنت في جمع هذه المادة من عدة مصادر أهمها:

www.islammemo.cc
www.wikipedia.com
,www.islamstory.com
www.khayma.com
http://www.hikm4.com
تم زيارتها يوم 2012/5/2
عمر بن عبد العزيز للدكتور عبد العزيز بن عبد الله الحميدي ط:دار الدعوة الإسكندرية

جمعه عبد الشهيد الأزهري بتاريخ الثاني من شهر مايو 2012 – موقع azharionline.com
Email: mailtoazhary@gmail.com